

حول معركة حمص

ورد في الصفحة ٥٢ من كتاب خطط الشام للاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق انه بينما كان ابراهيم باشا المصري مشغولاً في حصار عكة سنة ١٨٣١ - ٣٢ تمكنت الدولة العثمانية من تجنيد عشرين الف مقاتل بقيادة عثمان باشا والي حلب وان ابراهيم باشا ترك عندئذٍ قسماً من جيشه على عكة والتقى في ضواحي حمص مع القسم الآخر بالجيش العثماني وهزماً . وانه بعد فتح عكة فتح اسطوله اللاذقية وطرابلس وبيروت وصيدا وصور وجاء ايضاً بعد هذا كله ، نقلاً عن ابن البيطار ، ان ابراهيم باشا قصد طرابلس وحمص - بينما كان جيشه على عكة - ودخلهما بلا قتال . وانه عزم بعد فتح دمشق على قتال حمص فحصل بينه وبين العسكر السلطاني قتال قتل منهم نحو خمسة آلاف وأسر نحو اربعة آلاف . ونقلاً عن كتاب البهجة التوفيقية ، ان الدولة جيشاً آخر بلغ عدده ستمين الف مقاتل وان هذا الجيش التقى بعساكر ابراهيم امام حمص وانهم فبلغ عدد قتلاه ٢٠٠٠ والاسرى ٣٠٠٠ . أفحدث قتال في ضواحي حمص في اثناء حصار عكة ام لم يحدث . وفتحت طرابلس في اثناء حصار عكة ام بعد فتحها . وكان ذلك بقتال ام بلا قتال وبرا ام بجرأ ام بجرأ ؟ وكان عدد القتلى في معركة حمص بعد فتح عكة خمسة آلاف ام الفين ، وعدد الاسرى اربعة آلاف ام ثلاثة آلاف ؟

كان يجدر بالاستاذ كرد علي ان ينعم النظر في بعض هذه الاقوال المتناقضة التي وردت في صفحة ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ من كتابه هذا ويغربلها بغرباله العصري فيساعد القارئ على الوصول الى الحقيقة . على المؤرخ اليوم ان لا يكتفي بنقل الرواية وضمها الى غيرها ونشرها على علاقتها قويت اسانيدها او وهنت وناقض بعضها بعضاً ام لم يتناقض - كما فعل الطبري والمسعودي وابن الاثير وغيرهم - عليه ان يقبل رواياته ليتبين عيوبها ويتنعم الاخبار التي لديه لمعرفة صحيحها من فاسدها . عليه ان يعتمد على العقل في النقل ويقدم للقراء ما يتبين صحته من الاخبار لتكون استنتاجاتهم في محلها خالية من الغلط . والاستاذ كرد علي والحق يقال أدري من غيره في ماهية هذه المطالب فانه قد نوّه بها في الصفحة الثامنة من مقدمته النفيسة لهذا التاريخ حيث قال : وقد اعتنيت بتجريد هذا

الكتاب ما امكن من المبالغات والخرافات ونخل لباب الوقائع المهمة الثابتة وحذف ما فيه شبهة او شائبة غلو وان كان منها ما يروق بعضهم . . . فخطبت ما استطعت العقل اكثر من العاطفة وعنيت في قسم التاريخ السياسي ان اُبين علل الحوادث وتسلسل الكوائن ودواعي الاحوال القريبة او البعيدة واستخراج النتائج واستنباط القواعد . والتاريخ ريب الحربة لا يتصرف على هوى من يكتبه ويقرؤه ولا على اذواق المعاصرين وميوهم . وما دام موضوعه الاعتبار بالخالي لمعرفة الخالي والآتي فهو جدير بان يجري فيه الحق ولا يدون سواء ولا يتناغى بغير الواقع . قال احد العلماء عند ما يريد ان نصل الى الحقائق التاريخية يجب ان تصح هممتنا على ازالة الاوهام ونزع الزوان من الاساطير التي تعلق بالوقائع الثابتة القليلة التي وصلت اليها

ثم أين يا ترى التقى عثمان باشا براهيم باشا . أفي ضواحي حمص كما يقول الاستاذ كرد علي ام في الزرّاعة : وهنا لا بد لنا من مخالفة الاستاذ ايضاً فانه لو راجعنا الاصول لوجدنا اكثرها واهمها كمؤلفات باين وبريس دافان وده فولابال وجوان وطنوس الشدياق واسكندر ابكار يوس^(١) نقول ان عثمان و ابراهيم تواقعا في الزرّاعة لا في حمص . وقد ظفرنا مؤخراً برسالة خطية من وكيل سرعسكر مصر وقتئذ الى الشيخ حسين عبد الهادي بتاريخ ١٩ ذي القعدة سنة ١٢٤٧ هـ . تؤيد قولنا ونثبت وقوع هذه المعركة في الزرّاعة اثباتاً نهائياً . وها نحن ننشرها الآن بحروفها زبادة للايضاح وحرصاً على نصها :^(٢)

فخر المشايخ المكرمين اخينا الشيخ حسين حفظه الله تعالى
قبل الآن عرفناكم عن حلول ركاب سعادة افندينا ولي النعم السرعسكر المعظم في

(١) اطلب كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنوس الشدياق ص ٥٧١ (طبع بيروت سنة ١٨٥٩) وكتاب المناقب الابراهيمية والمآثر الخديوية لاسكندر بك ابكار يوس (طبع حمص سنة ١٩١٠) ص ٣٤

Paton, A History of the Egyptian Revolution (London 1870), II, 96, P. et H., L'Egypte Moderne (Paris 1870), 15; Gouin, L'Egypte au XIX Siecle (Paris 1847), 431.

واطلب ايضاً ما كتبه نوفل نوفل في هذا الصدد وفي مخطوطته المشهورة — الكلية ج ١١ ص ٤١ (٢) والمفضل في هذا كله يرجع الى حضرة ابراهيم بك عبد الهادي من اعيان نابلس الذي احتفظ باوراق اجداده وتفضل علينا بهذه الخدمة العلمية . والى وصفي افندي عنتاوي احد طلبة الدائرة العلمية في هذه الجامعة الذي بحث عن هذه الرسالة في نابلس في اثناء عظمة الصيف الماضي

مدينة حمص وان مصمم سعادته على القيام الى حماه لاجل تنكيل وتدمير الاعداء غير ان بعدم وجود الذخيره مع سعادته ولعدم وجودها في حمص صدر أمره الكريم الى جناب الاخ الامير قاسم الشهباني بارسال ذخيره من الذخاير الموجودة في زحله الى بعلبك وتحرك ركابه الشريف من حمص لجهت بعلبك لاجل اخذ الذخاير اللازمه والتوجه لجهت حماه لضرب الاعداء فمن بعد حركت الركاب من حمص بلغ الاعداء ذلك فارسلوا عساكرهم بقصد الحرب مع سعادته بالطريق ففي مهل قرية الزراعة حصلت المقاتلة ودارت رحا الحرب مع عساكرنا الخياله فقط وهم الاى جهاديه خيال مع باقي خيال العرب واما الجهاديه المشاة ما تحركوا لهذا الحرب ابداً وبمحمد الله ومنتته عساكر الاعداء ما قدرت على الثبات اكثر من ساعة وحقق بها الوبال وباس المآل وولوا الادبار ونادي مناديتهم الفرار الفرار فعند ذلك لحقتهم العساكر المنصوره وظفرت بهم ظفر الاسود الكواسر وجملة الذي قتل من الاعداء نيف عن مائتين نفس غير المجارح واخذ منهم ثلاثماية حصان ومن العساكر المنصوره فقد خيال واحد من الجهادية وجرح خيال من العرب وجرحه سليم ومن حيث ان هذه البشره توجب السرور لكافة عبيد سعادة أفندينا ولي النعم ورعاياه وان شاء الله هي اول بشاير انتصارات سعادته اقتضى بشرناكم بها ليكون معلومكم ذلك وتداوموا على تادية الدعا بدوام وتأييد دولته السنية

في ١٩ ق سنة ١٢٤٧

ابراهيم ميرميران

وكيل سرعسكر - مصر

ورب قائل يقول : ان ما ورد في كتاب خطط الشام غير ما تدعيه فالاستاذ كرد علي يقول ان هذه المعركة حدثت في « ضواحي » حمص لا في حمص نفسها . نقول ورد في محيط المحيط « ضحا الرجل بضمه ضحواً برز للشمس والشئ أصابته الشمس والطريق بدا وظهر وضاحي الجلد ما ظهر منه وضواحي البلد ما ظهر وبرز منها » . والزراعة تبعد عن حمص بعد حماة عنها . أفصح اذاً ان يقال ان حماة في ضواحي حمص . وان ما حدث في مدينة حماة حدث في ضواحي حمص ؟

اسد رستم

آثار الانسان الاول في مصر

يقول السر فلندرس بتري « Sir Flinders Petrie » انه كان سكن مصر حوالي